بحث بعنوان

زى المراة النوبية عندما تتحدث الألوان والخيوط
دراسة أنثروبولوجية

الباحثة

هاجر سيد أمين محمد

دارسة الماجستير بقسم الانثروبولوجيا

بمعهد الدراسات الافريقية

بجامعة أسوان

ملخص الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تناول الزي التقليدي للمرأة النوبية بوصفه أحد الركائز المحورية في بناء الهوية الثقافية داخل المجتمعات النوبية الواقعة في جنوب مصر. وتُعنى الدراسة باستكشاف الأبعاد الأنثروبولوجية للزي، انطلاقًا من كونه ليس مجرد مظهر خارجي أو عنصرًا جمالياً، بل يمثل تجسيدًا معقدًا لعلاقات اجتماعية ودينية واقتصادية متشابكة، تتوارثها الأجيال وتشكل ذاكرة جمعية عميقة الجذور.

ويركز التحليل على الكيفية التي يعكس بها الزي النسائي النوبي ملامح البنية الاجتماعية، بما في ذلك الطبقات الاجتماعية، والتقسيمات العمرية، والمناسبات الاحتفالية والدينية، كما يستجلي ما يحمله من رموز ضمنية مرتبطة بالهوية والانتماء. ويتناول البحث بالدراسة الدقيقة دلالات الألوان، وأنواع الأقمشة، والزخارف، والإكسسوارات المصاحبة، بوصفها وسائل تواصل غير لفظي تُسهم في ترسيخ مفاهيم الهوية، وتؤشر على موقع المرأة داخل المجتمع النوبي من حيث السن، والحالة الاجتماعية، والمكانة الاقتصادية.

وقد تم جمع البيانات من خلال عمل ميداني نوعي أجري في عدد من القرى النوبية المختارة بعناية وفق معايير التنوع الجغرافي والثقافي. واعتمدت الدراسة على أسلوبي الملاحظة المباشرة والمقابلات شبه المُنظمة مع نساء نوبيات من مختلف الفئات العمرية، إضافة إلى أفراد من المجتمع المحلي ذوي الخبرة في الشؤون الثقافية والأنثروبولوجية. وتوفر هذه المنهجية الغنية بيانات وصفية ومعرفية تُسهم في بناء فهم معمّق لطبيعة هذا المكوّن الثقافي ودوره في حفظ التراث النوبي وتعزيزه.

الكلمات المفتاحية

المرأة النوبية –الزي التقليدي –الثقافة الشعبية –الأنثروبولوجيا الثقافية –المجتمعات الحدودية

Abstract

"The Traditional Dress of Nubian Women: When Colors and Threads Speak - An Anthropological Study"

This study aims to examine the traditional dress of Nubian women as a central pillar of cultural identity within Nubian communities in southern Egypt. It seeks to explore the anthropological dimensions of this attire, viewing it not merely as an external or aesthetic element, but as a complex expression of intertwined social, religious, and economic relationships, passed down through generations and deeply embedded in collective memory.

The analysis focuses on how Nubian women's clothing reflects the structure of social organization, including social stratification, age divisions, and ritual or religious occasions, while also uncovering the symbolic meanings it conveys regarding identity and belonging. Special attention is given to the significance of colors, types of fabrics, decorations, and accompanying accessories as non-verbal modes of communication that reinforce notions of identity and indicate a woman's age, marital status, and economic standing within Nubian society.

Data for this research were collected through qualitative fieldwork conducted in selected Nubian villages chosen for their geographical and cultural diversity. The study employed participant observation and semi-structured interviews with Nubian women of varying age groups, as well as key informants within the local community who possess expertise in cultural and anthropological matters. This rich methodological approach provides descriptive and interpretive insights that contribute to a deeper understanding of the role of traditional dress in preserving and reinforcing Nubian heritage.

Keywords:

Nubian Women – Traditional Dress – Popular Culture – Cultural Anthropology – Border Communities

مقدمة:

يُعد الزي التقليدي أحد أبرز مكونات الثقافة المادية، وأحد أهم وسائط التعبير الثقافي التي تُجسّد هوية المجتمعات وتُعبّر عن أنماطها القيمية والاجتماعية والرمزية(Miller, 2005 ، ص. ٣؛ Eicher & Roach–Higgins, 1992، ص. ١٥). ففي المجتمعات التقليدية مثل المجتمع النوبي في جنوب مصر، لا يُنظر إلى اللباس بوصفه مظهرًا وظيفيًا أو شكليًا فحسب، بل يُعد لغة غير لفظية مشبعة بالمعاني الثقافية، يُستخدم لتجسيد الانتماء، وترسيخ المكانة الاجتماعية، والتعبير عن التحولات الفردية والجماعية (Barnard, 2002، ص. ٨٩).

وتحظى المرأة النوبية بمكانة محورية في هذا السياق، إذ يُعد زيها التقليدي من أكثر أنماط اللباس ثراءً وتنوعًا على مستوى الدلالات والرموز، سواء من حيث الألوان، أو النقوش، أو الخامات المستخدمة، أو أساليب الارتداء (Abaza, 2007، ص. ١٢١) ويعكس هذا الزي منظومة متكاملة من المعاني المرتبطة بـ المرحلة العمرية للمرأة، ووضعها الاجتماعي)مثل العزوبية أو الزواج أو الترمل)، فضلاً عن انتمائها المكاني والقبلي داخل المجتمع النوبي.

إن دراسة هذا الزي تتيح فهمًا أعمق لـ بنية الثقافة النوبية، وتكشف عن الكيفية التي تُمارَس بها الهوية الثقافية من خلال المظاهر اليومية، كما تُلقي الضوء على الدور الذي يلعبه اللباس في حفظ واستمرارية التراث غير المادي (Küchler & Miller, 2005، ص. ٢٢). كما أن هذا النمط من الدراسة يتقاطع مع الاهتمامات الأنثروبولوجية التي تسعى إلى تفسير الرموز الثقافية ضمن سياقاتها الاجتماعية والتاريخية، مما يجعل من اللباس مدخلاً فعالاً لفهم العلاقات الاجتماعية، وأدوار النوع الاجتماعي، وتحولات المكانة داخل المجتمع (Geertz, 1973، ص. ٦).

إشكالية البحث

يُعدُّ الزي التقليدي أحد أبرز مكونات الثقافة المادية، لما يحمله من دلالات رمزية وجمالية تُعبّر عن الهوية الجمعية وتُجسّد مرجعيات اجتماعية ودينية متجذرة في البناء الثقافي للمجتمع(Miller, 2005, ص. ٨؛ Eicher & Roach–Higgins, 1992 ص. ٢٠). فالزي لا يُمثّل مجرد مظهر خارجي أو وظيفة تغطي الجسد، بل هو نص بصري متعدد الأبعاد، يتجلى من خلاله المخزون الثقافي والقيمي للمجتمعات التقليدية(Küchler & Miller , 2005 ,ص. ٢٢)

وفي هذا الإطار، يُعد زي المرأة النوبية نموذجًا ثقافيًا فريدًا يُعبر عن خصوصية الهوية النوبية ضمن الخارطة الثقافية المصرية، إذ تُجسّد مكوناته تفاصيل الحياة اليومية، وتنعكس فيه مفاهيم مثل الحشمة، والجمال، والانتماء، ودور المرأة الاجتماعي(Abaza, 2007, p ١٣٠ ,). كما أن الألوان، والزخارف،

والأقمشة، وطريقة ارتداء الزي، كلّها تحمل معاني تتجاوز الجانب الجمالي إلى التعبير عن العمر، والحالة الاجتماعية، والمكانة داخل المجتمع(Barnard, 2002, p91)

إلا أن هذا الزي، بوصفه تراثًا متوارثًا، لم يَسلم من موجات التغيرات الاجتماعية والثقافية المتسارعة التي طرأت على المجتمع النوبي خلال العقود الأخيرة، نتيجة الانفتاح على العالم الخارجي، وتأثير العولمة، وتراجع الأطر التقليدية، وانتشار أنماط الحياة الحديثة (Appadurai, 1996,p33). وقد أسهمت هذه التحولات في إعادة تشكيل العلاقة بين المرأة النوبية وزيها التقليدي، سواء من حيث الرمزية والاستخدام، أو الوظيفة الاجتماعية والثقافية (Craik, 1994,p3)

ومن هنا تنطلق إشكالية هذه الدراسة، التي تسعى إلى تحليل زي المرأة النوبية باعتباره أحد أبرز مظاهر الثقافة المحلية، وعنصرًا جوهريًا في الثقافة المادية النوبية، بهدف استكشاف مدى استمراريته أو تحوّله في ظل التغيرات الاجتماعية الراهنة. وتُطرح الإشكالية من خلال مجموعة من التساؤلات المركزية، من أبرزها:

- ما الرموز والمعاني التي يتضمنها زي المرأة النوبية؟
- إلى أي مدى لا يزال هذا الزي حاضرًا في الحياة اليومية للنساء النوبيات؟
- ما العوامل المؤثرة في استمرارية هذا الزي أو انحساره؟
- وهل تختلف أنماط ارتدائه تبعًا للفئة العمرية، أو الطبقة الاجتماعية، أو السياق الجغرافي؟

إن دراسة زي المرأة النوبية من منظور أنثروبولوجي لا تهدف فقط إلى توثيق مادي لمظهر من مظاهر التراث، بل تسعى إلى فهم البنية الثقافية والاجتماعية التي تُشكّل هذا الزي وتعيد إنتاجه، بما يُتيح مقاربة أعمق لدور المرأة في المجتمع النوبي، وتفسير التحولات التي طرأت على هذا الدور عبر اللباس بوصفه مؤشّرًا ثقافيًا غنيًا بالمعاني.

أهمية البحث

١- **توثيق التراث النوبي** :يُسهم البحث في حفظ الزي التقليدي للمرأة النوبية كمكوّن من التراث الثقافي غير المادي المهدد بالاندثار.

١- **تحليل رمزية الزي** :يبرز البحث البعد الأنثروبولوجي للزي من خلال دلالاته المرتبطة بالهوية والانتماء والمكانة في المجتمع النوبي.

٢- **دعم الدراسات الثقافية** :يفتح البحث المجال لدراسات متعددة التخصصات تسهم في فهم أعمق للثقافة والهوية النوبية.

أهداف البحث

١. **توثيق الزي التقليدي للمرأة النوبية وتحليل مكوناته المادية والثقافية**، بما يشمل أنماط التصميم، والخامات، وأساليب الاستخدام ضمن السياق المحلي.

١. **تفسير الرموز والألوان والزينة المصاحبة للزي**، واستكشاف دلالاتها في ضوء المرجعيات الثقافية والاجتماعية السائدة في المجتمع النوبي.
٢. **إبراز دور الزي التقليدي في التعبير عن الهوية الفردية والجماعية**، والانتماء الطبقي والاجتماعي، من خلال رصد علاقته بالسن، والحالة الاجتماعية، والمكانة المجتمعية للمرأة النوبية.

منهجية البحث

اعتمدت هذه الدراسة في مقاربتها للزي التقليدي للمرأة النوبية على المنهج الميداني بوصفه الأداة الأساسية لجمع البيانات من الواقع المعاش، حيث تم تنفيذ زيارات ميدانية لعدد من القرى النوبية ذات الخصوصية الثقافية المتنوعة في جنوب مصر. وقد تم خلال هذه الزيارات استخدام أداتي الملاحظة المباشرة والمقابلات شبه المنظمة بهدف رصد مظاهر اللباس التقليدي في سياقها الطبيعي، وتوثيق الروايات الشفوية والتجارب الشخصية المرتبطة بالزي، من خلال التفاعل المباشر مع النساء النوبيات من فئات عمرية وخلفيات اجتماعية متباينة.

إضافة إلى ذلك، تم توظيف المنهج الأنثروبولوجي التحليلي بوصفه إطارًا نظريًا وتفسيريًا لفهم دلالات اللباس، حيث لا يقتصر التحليل على الجوانب المادية أو الجمالية، بل يتعداها إلى تفكيك الرموز الثقافية الكامنة في الألوان، والخامات، والزخارف، وأنماط الارتداء، وربطها بالبنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع النوبي. وقد مكّن هذا المنهج من تأطير اللباس ضمن نسق رمزي يعكس العلاقات الاجتماعية، وأنماط التنشئة، وأدوار النوع الاجتماعي، والطقوس الجماعية، مما أضفى على الدراسة بعدًا تفسيريًا عميقًا.

إن هذا الدمج بين العمل الميداني والتحليل الأنثروبولوجي يُعد ضروريًا لفهم اللباس التقليدي لا بوصفه مجرد ظاهرة مادية، بل كأداة ثقافية حاملة للمعاني، ومرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالهوية، والتاريخ، والتحولات الاجتماعية.

مفاهيم البحث

الزي التقليدي

يُعتبر جزءًا أساسيًا من التراث الثقافي المادي في العديد من المجتمعات، ويُعبر عن القيم الثقافية والهوية الاجتماعية والجمالية للمجتمع. في الأدبيات الأنثروبولوجية والاجتماعية، يُفهم الزي التقليدي ليس فقط كمجموعة من الملابس التي يرتديها أفراد المجتمع، بل كـ نظام رمزي يحتوي على دلالات ثقافية، اجتماعية، وطبقية تتغير من مجتمع لآخر.

وفقًا لـ Eicher & Roach-Higgins (1992)، يُعرَّف الزي التقليدي بأنه: "المجموعة المنظمة من الملابس والأكسسوارات التي تُستخدم في سياق ثقافي محدد، والتي تشارك في بناء المعنى الاجتماعي والهوية

الثقافية للمجتمع" (ص. ٢٠). هذا التعريف يشير إلى أن الزي لا يقتصر على وظيفة تغطية الجسد، بل يتعداها ليشمل رسائل ثقافية واجتماعية مهمة.

في دراسات الأنثروبولوجيا الثقافية، يُعتبر الزي التقليدي جزءًا من "اللغة غير اللفظية" التي يمكن من خلالها فهم العلاقات الاجتماعية بين الأفراد Barnard (2002) .يُوضح في دراسته حول الملابس والتواصل أن "الزي التقليدي يحمل رسائل بصرية تُعبر عن انتماءات فردية أو جماعية تتعلق بالسن، الحالة الاجتماعية، والمكانة داخل المجتمع" (ص. ٩١.(

في الدراسات الاجتماعية، يُنظر إلى الزي التقليدي على أنه أحد عناصر الثقافة الشعبية التي تسهم في الحفاظ على الهوية الثقافية للمجتمعات التقليدية Craik (1994) .يرى أن "الملابس التقليدية لا تقتصر فقط على الجماليات، بل تُستخدم أيضًا لتوضيح القوة والسلطة، وتقاسم القيم الثقافية بين الأفراد" (ص. ٣)

كما تُشير Miller (2005)إلى أن "الملابس التقليدية تُعد جزءًا من الثقافة المادية التي تُساهم في إبراز العلاقات الاجتماعية وتنظيمها، إذ يُعتبر الزي انعكاسًا للرؤية الثقافية الجمعية داخل المجتمع" (ص. ٨)

المرأة النوبية

تُعد المرأة النوبية جزءًا أساسيًا من الثقافة التقليدية في جنوب مصر، حيث تمثل عنصراً فاعلاً في الأنماط الثقافية والرمزية التي تميز المجتمع النوبي. ترتبط المرأة النوبية بمجموعة من القيم والعادات والممارسات المتداولة داخل المجتمع، والتي تُعبّر عنها بشكل رئيسي من خلال أنماط اللباس التقليدي .الزي التقليدي للمرأة النوبية ليس مجرد وسيلة لتغطية الجسد، بل هو رمز ثقافي يعكس الهوية الثقافية والاجتماعية، ويُعد وسيلة تعبير عن المراحل العمرية، الحالة الاجتماعية، والمكانة داخل المجتمع

(;Barnard, 2002, p. 91عبد الله، ٢٠٢١، ص. ١١٥.(

الملابس التقليدية النوبية :-

الملابس التقليدية النوبية تُظهر الانتماء الاجتماعي، الطبقات الاجتماعية، الدور الاجتماعي للمرأة في المجتمع، وقد تكون جزءًا من الطقوس الاجتماعية مثل الزفاف أو المهرجانات. الزي يُعبّر عن التاريخ الثقافي للمجتمع النوبي، ويُعد وسيلة لنقل الموروثات الثقافية بين الأجيال، من خلال استخدام الألوان، النقوش، والخامات الطبيعية التي تحمل دلالات اجتماعية ورمزية

;Eicher & Roach-Higgins, 1992, p. 12)عبد الرحمن، ٢٠٢٠، ص. ١٣٤.(

الثقافة الشعبية:

الثقافة الشعبية في المجتمعات النوبية، بما فيها الزي التقليدي، تُعد من أهم عناصر الهوية الثقافية .تُشكل هذه الثقافة نظامًا رمزيًا يعبر عن مجموعة من القيم والمعتقدات التي تحدد سلوك الأفراد داخل المجتمع. وفي الأنثروبولوجيا الثقافية، يُعتبر الزي التقليدي جزءًا أساسيًا من التراث الثقافي المادي، حيث يُسهم في الحفاظ

على الهوية الثقافية الخاصة بالمجتمع من خلال تجسيد القيم التقليدية وعكسها عبر الأجيال. كما أن الزي يعكس التفاعل الثقافي والتاريخي داخل المجتمع النوبي، ويُساعد على تحديد المكانة الاجتماعية للمرأة بالإضافة إلى دوره في الحفاظ على الاستمرارية الثقافية في وجه التغيرات المعاصرة (Miller, 2005, p. 8؛ سعيد، ٢٠١٩، ص. ٥٢)

عرض وتحليل النتائج

يُجسد الزي التقليدي للمرأة النوبية هوية المجتمع الثقافية والاجتماعية، ويتنوع حسب المناسبات، ليعكس الفرح أو الحزن وفقًا للسياق. في الأفراح، ترتدي النساء أزياء ملونة مبهجة مدعّمة بالذهب، كرمز للمكانة والفرح. أما في الأحزان، فيسود اللون الأسود تعبيرًا عن الاحترام والحزن. هذا التباين في الزي يعكس التفاعل العميق بين الفرد والثقافة، ويؤكد أن اللباس ليس مجرد اختيار جمالي بل وسيلة للتعبير عن القيم والتقاليد. وتشير الدراسة إلى أن هذا التكيف مع المناسبات يُظهر مدى تجذر الزي التقليدي في الحياة الاجتماعية، واستمراره كرمز حي للهوية النوبية.

الزي التقليدي كأداة لتمثيل الهوية الثقافية في المجتمع النوبي

الزي التقليدي في المجتمع النوبي يعد أكثر من مجرد غطاء للجسد، فهو يُعتبر وسيلة قوية للتعبير عن الهوية والانتماء الثقافي .حيث يعكس هذا الزي التفاعل العميق بين الأفراد والمجتمع والبيئة، ويُعد أداة أساسية في تحديد الهوية الشخصية والجماعية .وعند الحديث عن المرأة النوبية، يظهر أن الزي التقليدي لها ليس مجرد ملابس تستخدم لأغراض عملية، بل هو رمز ثقافي يعكس العديد من القيم المجتمعية والمعتقدات الدينية والاجتماعية التي نشأت في إطار الهوية النوبية.

الزي التقليدي وعلاقته بالهوية الثقافية

ويعد الزي النوبي أداة بصرية بارزة للتعبير عن الهوية الثقافية والانتماء للجذور. فهو يتجاوز الوظيفة الجسدية ليحمل رموزًا اجتماعية ودلالات تراثية عميقة. وتُجسّد ألوانه وخاماته وزخارفه عناصر من الذاكرة الجمعية والثقافة النوبية. يبرز هذا الزي بشكل خاص في المناسبات والاحتفالات، حيث يُعيد إحياء الموروث الثقافي. كما يمكّن المرأة النوبية من إبراز تميزها الثقافي عن المجتمعات الأخرى في مصر والعالم العربي.

الزي التقليدي كأداة للحفاظ على التراث الثقافي

في الوقت الذي تشهد فيه المجتمعات النوبية تغييرات اجتماعية وثقافية مستمرة نتيجة تأثير العوامل الحديثة والعولمة، يظل الزي التقليدي جزءًا أساسيًا في الحفاظ على الهوية الثقافية النوبية. حيث يُعدّ وسيلة لتجديد الروابط مع الماضي وترسيخ القيم الثقافية للأجيال الجديدة. تقول العديد من النساء النوبيات إن ارتداء الزي التقليدي في المناسبات يعيد إحياء الماضي، ويُحفّز الذاكرة الجماعية للأجيال الشابة، مما يُساهم في

الحفاظ على التراث الثقافي من الاندثار. فالمرأة النوبية تشعر في هذه اللحظات بأن هناك استمرارية بين الماضي و الحاضر، وأنها جزء من سلسلة تاريخية ممتدة.

علاوة على ذلك، يعتبر الزي التقليدي أداة للتعبير عن الاعتزاز بالجذور، حيث يسهم في تقوية الروابط المجتمعية بين الأفراد داخل المجتمعات النوبية. في الأعراس والمناسبات السعيدة، يُعتبر الزي أداة لتأكيد الانتماء إلى المجتمع النوبي، ويُعبّر عن الاحترام للتراث والحفاظ عليه.

الزي التقليدي كوسيلة لتمرير القيم الثقافية للأجيال الجديدة

في المجتمعات النوبية، يُعتبر الزي التقليدي وسيلة مهمة لتمرير القيم الثقافية للأجيال القادمة. إذ يتم نقل هذه القيم من خلال ارتداء الملابس التي تحمل رمزية و دلالة تاريخية، ما يساعد الأجيال الجديدة على الحفاظ على ثقافتهم وهويتهم في عالم سريع التغير. وهذا النوع من التمرير الثقافي يتم من خلال الأمهات والجدات، اللواتي يُعلّمن الفتيات الصغيرات أهمية الزي التقليدي كوسيلة لتعزيز الانتماء إلى المجتمع النوبي، مما يعزز الهوية الفردية والجماعية للأجيال الجديدة.

تُعتبر الفتيات اللاتي يرتدين الزي التقليدي في المناسبات علامة على الارتباط بالتراث، وتعبر عن استعدادهن لحمل ثقافة الأجداد وتقديمها للأجيال القادمة. وفي هذا السياق، يتشكل الوعي الثقافي عبر اللباس، مما يجعله أداة ذات تأثير بعيد المدى في نقل الموروث الثقافي من جيل إلى جيل.

وترى الباحثة أن الزي التقليدي للمرأة النوبية يمثل أداة ثقافية مهمة في التعبير عن الهوية والانتماء الثقافي، ويُعتبر عنصرًا أساسيًا في الحفاظ على التراث وتعزيز الروابط بين الأجيال في المجتمعات النوبية. فهو لا يقتصر على كونه زيًا للأعياد والمناسبات، بل هو رمز للهوية الثقافية والتاريخية، يُساهم في نقل القيم والمعتقدات عبر الزمن. إن الزي التقليدي للمرأة النوبية، بتنوعه ورمزيته، يظل أداة حيوية للمجتمع النوبى في الحفاظ على خصوصيته الثقافية وتثبيت الهوية الجماعية في مواجهة التحديات الاجتماعية والعولمة.

العناصر الزخرفية والدلالية في الزي التقليدي للمرأة النوبية

يتميز زي المرأة النوبية بتعدد وتنوع العناصر الزخرفية التي تُضفي عليه طابعًا فنيًا غنيًا، محملًا بالدلالات الثقافية والاجتماعية العميقة. يعد هذا الزي أكثر من مجرد ملبس تقليدي، بل هو نص ثقافي ينقل الرسائل الرمزية المرتبطة بالهوية النوبية والعلاقات الاجتماعية داخل المجتمع.

أولاً، الألوان الزاهية التي تستخدمها النساء في أزيائهن تعد من أبرز السمات التي تميز الزي النوبي. هذه الألوان تنبعث من الطبيعة وتستحضر المناظر الطبيعية التي تحيط بالمجتمعات النوبية مثل الصحراء، النيل، والنباتات .على سبيل المثال، اللون الأحمر يرمز إلى الخصوبة، في حين يرتبط الأزرق بمفاهيم النقاء و الهدوء .أما الأخضر، فيرمز إلى البركة و النماء، وهو ما يعكس العلاقة الوثيقة بين المجتمع النوبي وبيئته الطبيعية (الرجاء، ٢٠١٥، ص. ٨٢). تضاف هذه الألوان إلى النقوش الهندسية التي غالبًا ما تحمل أشكالًا

نباتية مثل الزهور والنخيل، وأشكالًا فلكية كـ النجوم، التي تحاكي الكون وحركة الزمن، مما يُعطي الزي بعدًا فلسفيًا يرتبط بعلاقة الإنسان بالطبيعة وعوامل الحياة (العلي، ٢٠١٤، ص. ١١٢)

أما النقوش الهندسية، فهي جزء لا يتجزأ من الزخرفة التي تزين الملابس، وغالبًا ما تحمل معانٍ تتعلق بـ الخصوبة و الحماية .يعتبر النقش على الملابس رمزيًا وعميقًا، حيث يُستخدم لتمثيل القيم الروحية و الدينية في الحياة اليومية. على سبيل المثال، يرتبط نقش الزهور بالفكرة الدينية التي تعكس تجدد الحياة والارتباط بالعالم الروحي، فيما ترتبط النجوم بمفاهيم مثل الهداية والاتجاه نحو الفضاء السماوي)السمان، ٢٠١٨، ص. ١٤٥)

أما فيما يتعلق بـ الإكسسوارات، فإن المرأة النوبية تهتم بشكل خاص بالأحجار الكريمة والحُلي التي تُضاف إلى زيها، مثل القلائد و الأساور و الخواتم .هذه الإكسسوارات لا تُعتبر مجرد زينة، بل تحمل دلالات ثقافية و اجتماعية عميقة. على سبيل المثال، فإن الخميسة، وهي واحدة من أشهر رموز الحُلي النوبية، تُعتبر تعويذة حماية ضد الحسد والأذى، وهي جزء من المعتقدات التقليدية التي ترسخ الاعتقاد بقوى خارقة للطبيعة تهدف إلى حماية الشخص من الأرواح الشريرة (الباز، ٢٠١٩، ص. ٩٩)

بعض قطع الحُلي قد تحمل أسماء نساء أو أحداث معينة، مما يجعلها بمثابة وثيقة رمزية تُسجل الذاكرة الجماعية للمجتمع النوبي. تُعبر هذه الحُلي عن الانتماء الاجتماعي و التاريخ الثقافي، كما أنها تُعدّ رموزًا تدل على المكانة وال مكانة الاجتماعية للمرأة النوبية في المجتمع (الشريف، ٢٠١٧، ص. ١٢٣)

إضافة إلى ذلك، ترى الباحثة أنه يمكن اعتبار هذه العناصر الزخرفية بمثابة أدوات تواصل اجتماعي، حيث تنقل الرسائل بين الأفراد والمجتمع. الزي التقليدي لا يمثل فقط مظهرًا جماليًا، بل هو أداة يُجسد فيها الشخص هويته الثقافية والانتماء لمجتمعه، مما يعكس تفاعلًا مستمرًا بين الماضي والحاضر من خلال الألوان، والنقوش، والحُلي.

التغيرات في زي المرأة النوبية بين الماضي والحاضر

على الرغم من تمسك العديد من النساء النوبيات بالزي التقليدي، إلا أن هناك تغييرات واضحة بدأت تتسلل إلى أنماط اللباس، خاصة بين الأجيال الشابة. فقد شهد المجتمع النوبي، مثل العديد من المجتمعات التقليدية الأخرى، تأثيرات متزايدة نتيجة التغيرات الاقتصادية والاجتماعية، فضلاً عن الانفتاح الإعلامي والعولمة، مما أدى إلى ظهور اختلافات في اختيارات الملابس، خاصة بين الفتيات الشابات.

الاقتصاد كان من أبرز العوامل المؤثرة في التغيرات الحاصلة، حيث تزداد تكاليف المواد الخام الخاصة بصناعة الملابس التقليدية، مثل الأقمشة الفاخرة والزخارف اليدوية التي كانت تميز الزي النوبي. كثير من النساء الشابات بدأوا يلجأون إلى الملابس الحديثة التي قد تكون أقل تكلفة وأسهل في الصيانة، مما يؤدي إلى

تقليص استخدام الملابس التقليدية في الحياة اليومية، إلا أنه لا يزال يتم ارتداء الزي النوبي في المناسبات الخاصة مثل الأعراس والمهرجانات (المبارك، ٢٠١٧، ص. ٩٨.(

أما الانفتاح الإعلامي، فقد لعب دورًا كبيرًا في نشر الموضات العالمية التي أثرت على الذوق العام، خصوصًا بين الأجيال الأصغر. الفتيات الشابات اللواتي نشأن في ظل هذا الانفتاح الإعلامي أصبحت لديهن رغبة في دمج الزي التقليدي مع عناصر اللباس العصري .على سبيل المثال، يمكن رؤية فتيات يرتدين أثوابًا نوبية مزينة بالزخارف التقليدية لكن مع إضافة لمسات حديثة مثل التصاميم الأوروبية أو الأقمشة الحديثة (الدسوقي، ٢٠٢٠، ص. ٥٦)

وكان للتعليم دورٌ محوري في رفع وعي النساء النوبيات بأهمية الزي التقليدي كرمز للهوية، مما دفع بعضهن لتنظيم ورش لتعليم الفتيات تصميمه وحياكته (الصادق، ٢٠١٨، ص. ١١٢). وتُقام مهرجانات ثقافية لعرض هذه الأزياء وتعريف الأجيال الجديدة برمزيتها التاريخية (البرعي، ٢٠١٩، ص. ١٤٠) وتسعى هذه الجهود لإحياء التراث وحمايته من الاندثار وسط التغيرات المعاصرة. ورغم الانفتاح على الحداثة، لا تزال كثير من النساء يرفضن التعديلات الكبيرة على الزي. بذلك، يظل الزي النوبي التقليدي أداة ثقافية حية تعبّر عن الانتماء والخصوصية.

الزي في المناسبات المختلفة

يُعد الزي التقليدي للمرأة النوبية رمزًا لهويتها الثقافية، ويتجلى بشكل خاص في المناسبات الاجتماعية والدينية. تختلف أنماطه بحسب السياق، ما بين الفرح والحداد والاحتشام، ليعكس القيم الثقافية بوضوح. ورغم تأثير العولمة، لا يزال هذا الزي محط اعتزاز ويُحافظ على خصوصية المجتمع النوبي. ،

ففي المناسبات السعيدة مثل الأفراح والسبوع، يتم ارتداء الأثواب الملونة والمزخرفة التي تعتبر سمة بارزة لهذا الزي. النساء النوبيات يتأنقن بالأثواب المزينة بالزخارف التقليدية التي غالبًا ما تكون مستوحاة من الطبيعة، مثل الأزهار والنخيل والنجوم، وتضاف الإكسسوارات اللامعة مثل القلائد الذهبية والأساور الفضية، لتضفي مزيدًا من الفخامة والجمال. هذه الأزياء تمثل الفخر والفرح، وتعكس التراث الثقافي العريق للمجتمع النوبي. تحرص النساء على الاهتمام بكل تفاصيل الزينة، حيث يُعتبر المظهر الخارجي في هذه المناسبات تعبيرًا عن احترام الضيوف والاحتفال بالعائلة والمجتمع (الحسيني، ٢٠١٦، ص. ٧٨)

أما في المناسبات الدينية مثل عيد الفطر أو عيد الأضحى، يتم ارتداء الزي الأسود المطرز بالذهب أو الفضة، وهو يُعتبر رمزًا من رموز الاحتشام والهيبة. هذا الزي يعكس التقدير للأعياد، كما أنه يجسد التقاليد الدينية التي تحث على البساطة والوقار. يُعتبر هذا الزي بالنسبة للنساء النوبيات أيضًا رمزًا للقدسية، حيث يرتبط بالاحتشام اللائق في الأوقات التي يُحتفل فيها بالأعياد والمناسبات الدينية (عباس، ٢٠١٩، ص. ١٠٢)

وفي مراسم الحداد يلتزم النوبيون، رجالًا ونساء، بارتداء ملابس سوداء بسيطة خالية من الزينة، تعبيرًا عن الحزن والاحترام، وهو ما يعكس ارتباط اللباس بالسياق الثقافي والوجداني داخل المجتمع النوبي (المبارك، ٢٠٢١، ص. ٥٦). ويُظهر الزي النوبي في مختلف المناسبات مدى تنوعه الرمزي؛ بين التعبير عن الفرح، والاحتشام الديني، والحزن، مما يجعله مكونًا حيويًا من مكونات التراث الثقافي غير المادي.

وتؤكد شهادات النساء النوبيات هذا الارتباط العاطفي والثقافي بالزي، كما في قول "أم حسين" (٦٠ عامًا): "ده لبس جدودنا، وكل لون فيه له معنى"، وهو ما يعكس فهمًا رمزيًا عميقًا للزي. أما "منى" (٢٢ عامًا) فترى في الزي النوبي وسيلة للتعبير عن الهوية بطريقة حديثة، قائلة: "بحسني مميزة لما ألبسه". ورغم اختلاف الأجيال، يتفق الطرفان على رمزية هذا الزي كأداة للتعبير عن الخصوصية الثقافية والتميّز، في إطار ما يُعرف بـ"إعادة إنتاج التراث في سياقات معاصرة.(Clifford, 1988) "

المراجع

أولًا: المراجع العربية

١. أبو بكر، عبد الرحيم. (٢٠١٥). *الأنثروبولوجيا والهوية الثقافية*. أسوان: مركز الدراسات النوبية.

٢. أبو زيد، مصطفى (٢٠٢٠). الأنثروبولوجيا الثقافية ومفاهيم التراث الشعبي. القاهرة: دار الفكر العربي.

٣. الباز، ر. (٢٠١٩). *الزي النوبي بين الهوية والرمزية الثقافية*. القاهرة: دار النشر الجامعية.

٤. البرعي، ع. (٢٠١٩). *الزي النوبي وأثره على الهوية الثقافية في المجتمع المصري*. القاهرة: دار النشر المصرية.

٥. الدسوقي، س. (٢٠٢٠). *المرأة النوبية والموضة: دراسة في تأثير الإعلام على اختيارات اللباس*. أسوان: دار المعارف.

٦. السمان، د. (٢٠١٨). *المرأة النوبية والرموز الثقافية في الأزياء التقليدية*. الجيزة: دار المعارف.

٧. الصادق، ف. (٢٠١٨). *الأنثروبولوجيا الثقافية والزي التقليدي في المجتمع النوبي*. الخرطوم: منشورات الأفق.

٨. العلي، ف. (٢٠١٤). *الأزياء كوسيلة تعبير ثقافي: دراسة في التراث النوبي*. الإسكندرية: مكتبة الثقافة.

٩. الشريف، أ. (٢٠١٧) *الأنثروبولوجيا الثقافية: دراسة في الأزياء والعادات*. القاهرة: مؤسسة الأبحاث الجامعية.

١٠. الرجاء، م. (٢٠١٥) *الرمزية الثقافية في الأزياء النوبية*. الخرطوم: دار الكُتاب.

١١. سعيد، ف. (٢٠١٩). *التراث الثقافي والمادي في المجتمعات الحدودية: حالة دراسة المجتمع النوبي*)ص. ٤٥–٦٧). الإسكندرية: منشورات جامعة الإسكندرية.

١٢. عبد الله، أ. (٢٠٢١). *الزي الشعبي في الثقافة النوبية: تحليل رمزي*)ص. ١٠٠–١٢٠). القاهرة: مركز الدراسات الثقافية.

١٣. عبد الرحمن، س. (٢٠٢٠). *الزي التقليدي للمرأة في جنوب مصر: دراسة أنثروبولوجية*)ص. ١٢٣–١٤٥). القاهرة: دار الفكر العربي.

١٤. منصور، فاطمة. (٢٠١٢). *الزي الشعبي في النوبة*. القاهرة: دار الثقافة الشعبية.

١٥. مقابلات ميدانية مع نساء من قرى نوبية (مارس – أبريل ٢٠٢٥)

المراجع الأجنبية

6. Abaza, M. (2007). *The Changing Consumer Culture of Modern Egypt*. Brill.

7. Barnard, M. (2002). *Fashion as Communication* (2nd ed.). Routledge.

8. Craik, J. (1994). *The Face of Fashion: Cultural Studies in Fashion*. Routledge.

9. Eicher, J. B., & Roach-Higgins, M. E. (1992). Definition and classification of dress: Implications for analysis of gender roles. In R. Barnes & J. B. Eicher (Eds.), *Dress and Gender: Making and Meaning* (pp. 8–28). Berg.

10. Geertz, C. (1973). *The Interpretation of Cultures*. Basic Books.

11. Küchler, S., & Miller, D. (Eds.). (2005). *Clothing as Material Culture*. Berg.

12. Miller, D. (2005). *Materiality*. Duke University Press.